

أيرلندا الشمالية تحيي ذكرى مؤوية بأئسة وسط جراح بريكست

تنامي المشاعر الانفصالية يضع المملكة المتحدة على طريق التفكك

المحطات الكبرى
في تاريخ أيرلندا الشمالية

خلاله 34 شخصا في أربعة تفجيرات نفذتها وحدات شبيهة عسكرية وحدوية في العاصمة الأيرلندية دبلن وفي بلدة مونغان الحدودية.

● 1979: في 27 أغسطس قتل 18 جنديا بريطانيا على يد الجيش الجمهوري الأيرلندي في تفجيرين في وارن بوينت شكلا الهجوم الأكثر دموية على الجيش خلال النزاع. في اليوم نفسه قتل الجيش الجمهوري الأيرلندي ابن عم الملكة إليزابيث الثانية لويس ماونتباتن بقبلة زرعت في قاربه.

● 1982: بدأ السجناء الجمهوريون في الأول من مارس سلسلة من الإضرابات عن الطعام حظيت بتغطية إعلامية واسعة للحصول على وضع سجناء سياسيين. وكان بوبي ساندز أول عشرة سجناء توفوا بسبب هذه الإضرابات التي أثارت تعاطفا دوليا.

عملية سلام

● 1985: وُقِع اتفاق بريطاني أيرلندي يؤكد أن وضع أيرلندا الشمالية لن يتغير إلا بموافقة غالبية مواطنيها ويمنح دبلن دورا استشاريا في سياسة أيرلندا الشمالية.

● 1998: توصلت لندن ودبلن والزعماء الانفصاليون والوحدويون إلى اتفاق سلام تاريخي. نص "اتفاق الجمعة العظيمة" الذي تم توقيعه في 10 أبريل على تقاسم السلطة بين البروتستانت والكاثوليك المنتخبين داخل مؤسسات شبه مستقلة. وقد وضع حدا لثلاثة عقود من نزاع أدى إلى سقوط أكثر من 3500 قتيل.

● 2005: الجيش الجمهوري الأيرلندي ينفذ العنف رسميا في 28 يوليو ويفك ترسانته.

● 2007: لقاء تاريخي في 26 مارس بين الزعيم البروتستانت إيان بيزلي وجيري أدامز، زعيم الحزب الجمهوري (شين فين) الذي وافق على تقاسم السلطة ما يسمح بإعادة تشغيل المؤسسات. في مايو تولت حكومة مشتركة مهامها.

بريكست

● 2016: في 23 يونيو صوتت أغلبية البريطانيين لصالح مغادرة الاتحاد الأوروبي لكن 56 في المئة من الناخبين في أيرلندا الشمالية صوتوا لصالح البقاء في الكتلة. وتعطرت محادثات بريكست بشأن مسألة أيرلندا الشمالية لأن عودة نقاط تفتيش على الحدود مع جمهورية أيرلندا العضو في الاتحاد الأوروبي أثارت مخاوف من غضب المجموعات الجمهورية شبه العسكرية.

● 2020: خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

● 2021: خروج بريطانيا من السوق الأوروبية الموحدة، مما أدى إلى فرض إجراءات مراقبة جمركية.



تاريخ مضطرب

● بلفاست (المملكة المتحدة) - من غزو أيرلندا في القرن الثاني عشر إلى اتفاقات السلام بين الانفصاليين الكاثوليك والوحدويين البروتستانت قبل عشرين عاما، شهدت أيرلندا الشمالية تاريخا مضطربا:

من الغزو إلى التقسيم

● 1169 - 1171: الغزو الأول الذي قام به الفرسان الأنجلو نورمانديون لجزء من الجزيرة يمهّد الطريق للسيطرة الإنجليزية.

● 1603: انتصر التاج البريطاني في حرب السنوات التسع ضد زعماء قبائل الغايل في أولستر. صادر الأراضي وجلب مستوطنين إنجليز واسكتلنديين كجزء من سياسة تعتمد على إقامة "المزارع". وبذلك أصبحت غالبية السكان من البروتستانت في شمال شرق الجزيرة.

● 1845 - 1848: مجاعة كبرى تقضي على السكان وفتور تدمر محاصيل البطاطا. هاجرت مئات الآلاف من العائلات التي أجبرت على النزوح إلى الولايات المتحدة وانخفض عدد السكان من 8.5 مليون ساكن إلى 6.5 مليون.

● 1919 - 1921: أدت "حرب الاستقلال" التي دعمها الجيش الجمهوري الأيرلندي إلى تقسيم أيرلندا وبقيت ست مناطق في الشمال (أولستر) غالبية سكانها من البروتستانت مرتبطة ببريطانيا. في 1922 شكلت المقاطعات الجنوبية الـ 26 "دولة أيرلندا الحرة" (أيرلندا الحالية).

نزاع دام

● 1968 - 1969: تأسست "حركة الحقوق المدنية" للأقلية الكاثوليكية الكبيرة في أولستر ضد التمييز الذي تتعرض له. بدأت مواجهات في لندنديري وبلفاست بين الانفصاليين الكاثوليك والموالين البروتستانت.

في 12 أغسطس 1969 اندلعت اشتباكات في لندنديري بين الوحدويين والجمهوريين الذين أطلقوا على المدينة اسم "ديري". بعد يومين تم نشر القوات البريطانية.

في ديسمبر 1969 تأسست المنظمة شبه العسكرية القومية "الجيش الجمهوري الأيرلندي".

● 1971: في التاسع من أغسطس سجت القوات البريطانية 342 قويا للاشتباه في قيامهم بأنشطة إرهابية دون محاكمة أخرى. ومنذ ذلك الحين وُصفت أساليب الاستجواب بأنها تعذيب.

● 1972: "الأحد الدامي" في 30 يناير: حيث قتل 470 شخصا في تصاعد أعمال العنف بينهم 14 قتلهم مظلومون بريطانيون خلال تظاهرة للكاثوليك في 30 يناير في لندنديري. في مارس تم حل برلمان أيرلندا الشمالية وتولت لندن إدارة شؤون المقاطعة بشكل مباشر في 28 مارس.

● 1974: كان السابع عشر من مايو أسوأ يوم في "الاضطرابات" وقتل



انقسام عميق

ولتجنب عودة حدود مادية مع جمهورية أيرلندا، تواصل أيرلندا الشمالية تطبيق أنظمة الاتحاد الأوروبي. ورفضت ضوابط على البضائع القادمة من بريطانيا في موانئ المقاطعة.

ولأنهم شعروا أنهم تعرضوا لخيانة من لندن المنهمة بإنشاء حدود جمركية في البحر الأيرلندي، أطلق الوحدويون أعمال شغب عنيفة في مدن عدة مطلع أبريل.

واضطرت رئيسة الوزراء والزعيمة الوحدوية أرين فوستر لإعلان استقالته، ما أدخل المقاطعة في مرحلة من الغموض السياسي.

في هذه الأجواء المتوترة، أعلن اثنان من الأحزاب الجمهورية الكبرى، الشين فين والحزب الاجتماعي الديمقراطي والعمالي، مقاطعتهما لعمليات التخطيط للاحتفالات. وقالت ميشيل أونيل زعيمة الشين فين في المقاطعة "لن نحتفل بهذا التقسيم الذي يشكل إخفاقا لأهل هذه الجزيرة".

في المقابل، يبدو بعض الوحدويين الذين فقدوا مؤخرا سيطرتهم التاريخية على البرلمان المحلي، غير راضين عن اللهجة المحايدة لحكومة لندن.

لذلك يتحدث إيفرشييد عن ذكرى مؤوية "بأئسة" سواء للوحدويين الذين "يحيون الذكرى المثوية لدولة هي على صورتهم لكنهم لم يعودوا يشعرون بالأمان فيها"، أو للجمهوريين الذين "يقرون مرغمين بأن الحدود التي يعارضونها منذ الأزل ما زالت قائمة".

في أجواء العنف من الصعب تصور عيد ميلاد سعيد لأيرلندا الشمالية

في هذه الأجواء، من الصعب تصور "عيد ميلاد سعيد" لأيرلندا الشمالية. ولا يزال خلاف عميق يفصل بين الوحدويين والقوميين حول شرعية المقاطعة البريطانية. مع أحلام على طرفي نقيض للمستقبل.

في المساء، ضغطت يد خفية على الزر وأغلقت أبواب "جدران السلام" ما أدى إلى عزل الأحياء عن بعضها البعض تماما.

في بعض الأيام كانت الاشتباكات أسوأ إذ شوهدت خلالها الشرطة تنشر خرطوم المياه والكلاب في مواجهة مفيري الشغب من الشباب الذين قاموا برشق أفرادها برزجاجات حارقة.

وبالقرب من البوابات، كان يمكن رؤية آثار هذه الاشتباكات التي صدمت المملكة المتحدة، على الأرض. وعلقت دمية دب من الفراء مع رسالة كتب عليها "السلام لمستقبل أطفالنا".

بيرون أنفسهم مواطنين لأيرلندا محتلة من قبل قوة أجنبية. في المقابل، ترفع الجيوب الوحدوية في بعض المدن العلم البريطاني وترسم جداريات تحتفي بالعائلة الملكية البريطانية.

وفي هذه الظروف، فإن أي انتصار لعسكري يعتبر هزيمة للمعسكر الآخر لأن وجهات النظر بينهما "متعارضة بشكل لا يمكن إصلاحه" حسب إيفرشييد.

لهذا السبب، تطرح الاحتفالات المثوية التي اقترحتها الحكومة مشكلة، إذ تستند حكما إلى فكرة أن أيرلندا الشمالية تنتمي إلى المملكة المتحدة وأن الملكة إليزابيث الثانية هي رئيسة الدولة.

مع ذلك، يشمل برنامج الحكومة المحلية مناسبات من شأنها أن تقرب بين الطرفين من إقامة قداس ديني لكل الطوائف إلى إنشاء "صندوق للتاريخ المشترك".

وترغب الحكومة في "التأكيد على قوة وجمال تنوع الهويات في المقاطعة"، لكن بعض المبادرات الرمزية يمكن أن تثير غضب الجمهوريين، مثل تقديم "وردة مؤوية" إلى الملكة "من أجل حديقتها".

وقال إيفرشييد بأن "لدى الوحدويين والقوميين فهم مختلف للماضي. فكل من الطرفين يحيي ذكرى أمور مختلفة ويفعل ذلك بشكل مختلف عن الآخر، لأن لديهما رؤى متضاربة للمستقبل السياسي".

في الوقت نفسه، تحل هذه الذكرى المثوية في وقت أحيا بريكست بقوة التوتر الكامن.

وفي حال بدأت المشاعر القومية لدى الانفصاليين تتقوى أكثر مع إصرارهم على مطالبهم، فإن التوتر قد يتجدد في أيرلندا الشمالية، وقد ينضم الإقليم في النهاية إلى الجمهورية الأيرلندية، وهذا سيشرح القوميين الأسكتلنديين على المطالبة بالاستقلال عن المملكة المتحدة، بعدها سيتحرك القوميون في ويلز للمطالبة بالاستقلال أيضا.

ومع توسع دائرة تحركات الانفصاليين لن يبقى سوى إنجلترا، وهو ما سيدق آخر مسمار في نشأ الإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغرب عنها، أي أن المملكة المتحدة باتت مهددة بالتفكك وستتقزم وتصبح صغيرة.

وقال جوناثان إيفرشييد الباحث في جامعة "كوليدج كورك" في تصريحات صحافية إن "الذكرى المثوية لأيرلندا الشمالية تشكل طبيعتها مصدر انقسام ولا يمكن إلا أن تكون كذلك".

ورأى أنه "ليست هناك ببساطة طريقة لإحياء ذكرى أيرلندا الشمالية بطريقة تصالحية أو جامعة" لكل الأطراف.

وحتى اليوم، يسمى الجمهوريون مقاطعتهم "أيرلندا الشمالية" ويعتبرون إنشاءها "تقسيمًا" بناء على اعتقادهم الراسخ بأن الحدود فرضت بشكل غير شرعي. وكان هذا الانقسام العميق في قلب "الاضطرابات"، أي النزاع الدموي الذي خلف خلال ثلاثين عاما نحو 3500 قتيل قبل إبرام اتفاق السلام في 1998.

وعلى الرغم من هذا السلام الهش، ما زال الجمهوريون الذين يوصفون أيضا بالقوميين، يزينون منازلهم بالعلم الأيرلندي، في إشارة إلى أنهم

تحيي أيرلندا الشمالية الاثنين الذكرى المثوية لتأسيسها دون احتفالات ووسط تداعيات هزة بريكست وأعمال عنف غير مسبوقه سببها حالة التفكك الاقتصادي الناجمة عن الانفصال وتوترات قائمة بين سكان موالين للوحدة مع المملكة المتحدة وآخرين قوميين موالين لأيرلندا، وفيما ألقى الانقسام العميق بظلاله على الاحتفالات، يتوقع المتابعون أن تشكل المشاعر الانفصالية المتنامية وما خلفته من اضطرابات سياسية، أول خطوة لتفكك المملكة المتحدة.

● دبلن - تحيي أيرلندا الشمالية الاثنين الذكرى المثوية لتأسيسها دون احتفالات، ما يعكس الهوة التي أحيها خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وما زالت تفصل بين المجموعتين اللتين تشكلان سكان المقاطعة البريطانية، فيما يتوقع متابعون أن تضع المشاعر القومية المتنامية لدى الانفصاليين، وما رافقها من توتر مؤخرًا، المملكة المتحدة على طريق التفكك.

ومنذ أن تحسرت جمهورية أيرلندا من الحكم البريطاني في الثالث من مايو 1921، شكل وجود أيرلندا الشمالية التي انشئت في الوقت نفسه والحقت بالمملكة المتحدة، محور مواجهة كانت دموية في بعض الأحيان بين البلدين. ويقوم خلاف منذ عقود حول وضع وطنهم بين الوحدويين الذين يدافعون عن الانتماء إلى المملكة المتحدة وهم بروتستانت خصوصا، والجمهوريين المؤيدين لإعادة توحيد المقاطعة مع أيرلندا وغالبيتهم كاثوليك.

الذكرى المثوية لأيرلندا الشمالية تشكل طبيعتها مصدر انقسام داخل المملكة المتحدة ولا يمكن أن تكون إلا كذلك

وتصاعد التوتر مؤخرا بسبب التغييرات التي سببها زلزال خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ما أدى في الأسابيع الأخيرة إلى أعمال شغب واستقالة رئيسة الحكومة المحلية أرين فوستر التي تقود حزب الاتحاد الديمقراطي الاتحادي المحافظ المتطرف، حيث يصر الآن إقليم أيرلندا الشمالية على أن يبقى يعامل معاملة خاصة مع الاتحاد الأوروبي وأن تظل الحدود غير موجودة مع جمهورية أيرلندا.

● بلفاست - تشكل أعمال الشغب الأخيرة في أيرلندا الشمالية التي غطت دحان أسود خلالها سماء بلفاست واشتبك شبان ملثمون مع الشرطة، خلفية حزينة للذكرى المثوية لإنشائها. اندلع هذا العنف غير المسبوق منذ سنوات، في أوائل أبريل في شوارع المقاطعة البريطانية التي هزتها "اضطرابات" استمرت لثلاثين عاما وكانت صدمات دموية بين الجمهوريين المعارضين ومعظمهم من الكاثوليك، والوحدويين وغالبيتهم بروتستانت.

وفي أعمال الشغب الأخيرة جرح 88 شرطيا على الأقل في اشتباكات بدأت في الجيوب الموالية لبريطانيا. وقال ديفيد ماكماري من المنظمة الوحدوية "مجلس المجتمعات الموالية" إن "الناس من كل الأجيال يشعرون بالغضب والإحباط بسبب ما يحدث". وأضاف في تصريحات لوسائل إعلامية في وسط بلفاست بتأثر أن "هذا البروتوكول اللعين هو اختراع أوروبي لتجريد من هويتي البريطانية".

وقبل أسبوعين من الاحتفال الاثنين، بمرور مئة عام على إنشاء المقاطعة،

